الفصل الثالث

الدبلوماسية عبر ثلاثة قرون

Henry Kissineer. "Diplomacy", New Yokk:, Simon and Schuster, 1944, 1104 pp

أدهش هنرى كيسنجر مستشار ـ الأمن القومى ووزير الخارجية الأمريكى الأسبق ـ ١٩٦٩ ـ ١٩٧٧ ـ الدوائر الاكاديمية والدبلوماسية حين أصدر عام ١٩٩٤ عمله الضخم Diplomacy (١١٠٤ صفحة)؛ والواقع انه يجب أن ننظر إلى صدور هذا الكتاب كحدث كبير ليس فقط بسبب شخصية مؤلفه وتاريخه الأكاديمي والدبلوماسي وأدواره الحاسمة فى توجيه وصياغة السياسة الخارجية الأمريكية والسياسات الدولية طوال حقبة السبعينايات، وإنما بسبب ما يقدمه الكتاب من استعراض عريض ودروس ثابتة للدبلوماسية على مدى ثلاثة قرون امتدت منذ نشوء الدبلوماسية الأوروبية كما صاغتها المدرسة الفرنسية، الكاردنيال ريشيليو Richeleu، فى القرن السابع عشر حتى الدبلوماسية الأمريكية ووصولها إلى قمتها فى عهد رونالد ريجان والتى أنهت فى الواقع عصرا كاملا من الدبلوماسية والعلاقات الدولية.

وبداءة فالكتاب هو دراسة للتقاليد المتعارضة للسياسة الخارجية والدبلوماسية الأوروبية والأمريكية، وهى التقاليد التى تمتد جذورها فى رؤى متشابهة ومتناقضة حول طبيعة إدارة الدولة. فالتقليد الأوروبى فى الحكم يتجسد فى نظرية: Raison D`ETAT والتى تقدم مطلب ذاتية الدولة ومصلحتها وعلو هذه المصالح، وأمن الدولة واستقلالها واستمراريتها على غيرها من الاعتبارات، أما فى التقليد الامريكى فهو ينطلق من قناعة أن الولايات المتحدة قد رفضت هذا المفهوم القديم لوجود الدولة، وأنها تدافع عن شىء جديد تحت الشمس، وأن قدرها هو أن تقود العالم من القديم إلى الجديد. ووفقا لهذا التقليد فإن الولايات المتحدة ستكون محصنة ضد الإغراءات، والتجاوزات المرعبة للمفهوم الأوروبى عن سبب وجود الدولة، وذلك بسبب طابعها الجمهورى، والظروف الحميدة المصاحبة لنموها، والفضيلة الكامنة فى مواطنيها. ووفقا للمشروع الامريكى فان أهداف السياسة الخارجية يمكن أن تفهم بشكل سليم باعتبار: أنها فقط وسيلة لنهاية هدفها حماية وتنمية حرية الفرد ورفاهيته. ووفقا لهذا المشروع والروءية الأمريكية كذلك ـ وكما بلورها بشكل خاص ودرو ويلسون ـ فإن السلام وليس الصراع يمثل النظام الطبيعى، والتعاون ، وليس الصدام هو مصير البشر والأمم. وبينما كانت الحرب فى المفهوم الأوروبى للدولة هى الأداء العظيم لوجود الدولة، فانها ترى فى المشروع الأمريكى ليس فقط كشر، ولكن شر غير ضرورى.

وهكذا فإن الكتاب هو قصة عمل هذين التقليدين، الأوروبى منذ القرن السابع عشر، والأمريكى فى القرن العشرين. إنه ليس عملا فى التاريخ الدبلوماسى بالمعنى التقليدى.

فكيسنجر ليس مهتما بما ذكره أحد الموظفين للآخر، ولكن اهتمامه أكثر شموخا وشمولا، فاهتماماته تتعامل مع المآزق والمعضلات الأبدية للسياسة الخارجية التي تواجه رجال الدولة الأوروبيين العظام ابتداء من ريشيليو حتى ديجول، وهي تركز على كيف أن هؤلاء الذين سيطروا على نظام الدولة المعاصر ـ بالخير أو بالشر ـ واجهوا تحدياتهم، وكيف حللوا طبيعة الإنجازات، وفشل هؤلاء الذين لعبوا في لحظة تاريخية دورا رئيسيا على المسرح العالمي. وكتاب «دبلوماسية» ليس فقط انتقائيا في معالجته التاريخية ولكنه يُقرأ باعتباره سلسلة من القصص البطولية لرجال دولة: سواء منهم الأعمى أم البعيد النظر، الذى ينطوي على مجرد المهارة، أو العميق ، الذى يفتقد العزيمة أو المصمم ، وقد انشغل كيسنجر دائما بمشكلة القيادة، ودور الشخصية العظيمة في التاريخ ، وهو لم يبد مثل هذا الانشغال كما أبداه في كتابه الأخير. فالكتاب هو أكثر من أى شيء آخر دراسة في فن ومعنى القيادة سواء كانت محافظة أم ثورية، استبدادية أم ديموقراطية، وطالما أن القيادة لا تنفصل عن ممارسة القوة، فإنها أيضا دراسة عن السلطة والنفوذ واستخداماتها.

وأخيراً فإن «دبلوماسية» هو بحث في طبيعة النظام الدولي ومحاولات القرنين الماضيين لإقامة مثل هذا النظام. وطبيعة مثل هذا النظام فيما يعتقد هي القضية الكبرى التي يجب ان نتوجه إليها ونعالجها بشكل جاد. وأن نفعل ذلك، فإن دراسة جهود الماضي لخلق نظام دولي يجب ان تهمنا للدروس التي تعلمنا إياها حول ما نستطيع أن نأمله لتحقيقه في المستقبل. وهو إذ يأخذ هذا الموقف فإنه من الواضح أن كيسنجر يفترض أن المستقبل سوف يشبه الماضي، أما فيما يتعلق بمفهومي الاستمرارية أو التغير في النظام الدولي، فإن الاول هو الذي سوف يسود. إن السياسة الدولية هي حقل اللامتغير فالأمم قد تبحث عن المصلحة الذاتية أكثر من المبادىء الرفيعة، كما قد تنافست أكثر مما تعاونت، وثمة دلائل قليلة على أن هذا النمط من السلوك القديم قد تغير أو أنه من المحتمل أن يتغير في الحقب القادمة، فإذا كان ثمة ما يميز التطور في النظام الحالي فهو، فوق كل شيء ، تفتته: FRAGMENTATION من ناحية، وعالميته المتزايدة من ناحية أخرى، وخلافهما يجعل النظام أكثر ضرورة عما كان من قبل، ويجعل تحققه والوصول إليه أكثر صعوبة.

ويعتبر كيسنجر أن جانب السخرية فيما يتعلق بالمستقبل الأمريكي يتمثل في أنه في الوقت الذي برزت فيه الولايات المتحدة منتصرة من صراعها الطويل مع الاتحاد السوفيتي، فإنها تواجه عالما حاولت أن تتهرب منه عبرتاريخها كله، أما عالم القرن الواحد والعشرين سيكون عالما لن تستطيع الولايات المتحدة لا إن تنسحب منه أو تهيمن عليه، وأصبح من

قدر أمريكا أن تشارك فى النظام الدولى، وإن لم تكن بالطريقة التى شاركت فيها خلال فترة الحرب الباردة ويقتنع كيسنجر أن نظام الغد سوف يشبه النظم العالمية فى الماضى، وباعتبار عالم تنتشر فيه القوة، فإن النظام سوف يعتمد على توازن القوة. ولكن هذا سوف يثبت أنه صعب بوجه خاص بالنسبة لدولة تمتلك فقط خبرات العزلة والسيطرة، وأيا من الخبرتين ليست كافية للاستعداد لكى تصبح مجرد أمة، حتى لو ظلت أمة عظمى، بين أمم أخرى.

غير ان السؤال المركزى الذى سوف يعالجه كيسنجر فى ضوء متغيرات القوة وعلاقاتها بعد الحرب الباردة هو ما إذا كانت أصول اللعبة قد تغيرت عما كانت عليه فى الماضى، فى هذاالشأن يعترف كيسنجر أن عالم القرن الواحد والعشرين سوف يحمل أوجه شبه صارمة فى عدد من الوجوه مع القرنين الثامن والتاسع عشر. وبافتراض غياب تهديد أيديولوچى أو استراتيجى شامل، فإن المصالح القومية التقليدية سوف تسود مرة أخرى. كما أنه بغياب نظام يعتمد على ثنائية القوة، فإن المتوقع هو العودة لنظام توازن القوة. ويكتب كيسنجر عن الفترة الحالية «لم يحدث من قبل أبدا وجود مكونات نظام عالمى، وقدرتها على التفاعل، وتغير أهدافها بهذه السرعة وبهذا العمق وبهذه العالمية. كما لم يحدث من قبل أن يكون النظام العالمى من مراكز رئيسية تتوزع حول العالم، وتختبر فيه الأحداث فى الحال وفى وقت واحد».

ورغم هذه التغيرات الواسعة، فإن كيسنجر يتوقع نظاما عالميا تسود فيه الاستمرارية مع الماضى. فعالم القرن المقبل فى نظره سيكون عالما تسيطر عليه كما فى الماضى ـ القوى العظمى (ويرتبهم كيسنجر بالولايات المتحدة، أوروبا ، الصين ، اليابان، روسيا، وربما الهند) وسوف تستمر علاقات القوة والمستقبل، مثلما كانت دائما فى الماضى، هى القوة الدافعة للسياسات الدولية. وهذه العلاقات سوف تتصف بالصراع مثلما تتصف بالمصالح المشتركة ـ وباعتبار أن هذا سيكون هو المستقبل، فإن الحاجة إلى نظام لن يستمر وتتأكد فقط، بل ستكون الحاجة إليه أعظم من الماضى. وفى غياب دولة واحدة مسيطرة قادرة على أن تفرض رؤيتها للنظام ، فإن كيسنجر يستخلص أن هذه الحاجة يمكن تحقيقها فقط باللجوء إلى توزان القوة..

وبعد هذه النظرة الشاملة على عمل كيسنجر سنحاول أن نعرض بشىء من التفصيل لمعالم التاريخ الحديث للدبلوماسية كما أرخ لها كيسنجر ولمراحلها وتطورها وأيضا للشخصيات الدبلوماسية ورجال الدولة الذين طبقوا وأداروا دبلوماسية بلادهم هذا التطور..

وبداءة ينبه كيسنجر إلى أنه بفعل قانون طبيعى ، يبدو أنه فى كل قرن تبزغ قوة لها من القوة، والإرادة، والدافع الأخلاقى والثقافى ما يمكنها ويؤهلها لأن تشكل النظام الدولى وفقا لقيمها ومعاييرها الخاصة. ففى القرن السابع عشر أدخلت فرنسا فى ظل الكارديتنال ريشيليو الأسلوب والتناول الحديث للعلاقات الدولية القائمة على الدولة القومية NATION STATE والمدفوعة بالمصلحة القومية كهدفها النهائى، وفى القرن الثامن عشر، صاغت بريطانيا العظمى، مفهوم، توازن القوة BALANCE OF POWER وهو المفهوم الذى سيطر على الدبلوماسية الأوروبية على مدى المائة العام التالية، وفى القرن التاسع عشر، شيد المستشار النمساوي مترنيخ مفهوم: the concept of Europe، وفككه المستشار الألمانى بسمارك معيدا صياغة الدبلوماسية الأوروبية كلعبة دموية لسياسة القوة POLITICS OF POWER¨† وفى القرن العشرين لم تؤثر دولة فى العلاقات الدولية بشكل وبشكل متناقض فى نفس الوقت مثل الولايات المتحدة الأمريكية.

الدبلوماسية من ريشليو RICHELIEU إلى ريجان:

ويبدأ هنرى كيسنجر رحلته مع تاريخ الدبلوماسية الحديث وتقييمه لها منذ سيد الدبلوماسية الفرنسية الكردينال ريشيليو فيقول ، إن ما يصفه المؤرخون اليوم بنظام توازن القوى الأوروبى ترنح فى القرن السابع عشر نتيجة الانهيار النهائى لآمال وتطلعات القرون الوسطى حول العالمية التى تستند إلى مفهوم النظام العالمى يمثل مزيجا من تقاليد الإمبراطورية الرومانية والكنيسة الكاثولوكية، وحيث كان العالم يتصور باعتبار أنه مرآة للسماء، ومثلما أن ثمة إله واحد يحكم السماء، فإن إمبراطور واحد يجب أن يحكم العالم العلمانى، وبابا واحد للكنيسة العالمية.

وبانهيار هذا المفهوم ، فإن الدول البازغة فى أوروبا احتاجت بعض المبادىء لكى تبرر بها هرطقتها وتنظم علاقاتها، وقد عثرت على هذه المبادىء فى مفاهيم:

RAISON DE'ETAT ، وتوازن القوى BALANCE OF POWER وبشكل يعتمد كلا منهما على الآخر. فقد أكد المفهوم الأول أن رفاهية الدولة تبرر أى وسائل تستخدم لتحقيق هذه الرفاهية وتقدم الدولة، وكذلك حلت المصلحة القومية محل الفكر الذى ساد فى العصور الوسطى حول الأخلاق العالمية. أما مفهوم توازن القوى فقد حل محل الحنين إلى المملكة العالمية وبالاعتقاد بأن اتباع كل دولة لمصالحها الخاصة سوف يساهم فى أمن وتقدم الآخرين.

وقد جاء أول صياغة شاملة لهذا التناول الجديد من فرنسا والتى كانت أول دولة قومية فى أوروبا. وكان المحرك الأول لهذه السياسة الفرنسية شخصية غير متوقعة وهو أحد امراء الكنيسة ARMEND TEUN DU PLESSIS أو الكاردينال ريشيليو، الوزير الاول لفرنسا من عام ١٦٢٤ ـ ١٦٤٢ . وقد عقب البابا أوربان الثامن على وفاته بقوله «إذا كان هناك إله، فإن الكاردينال ريشيليو سيكون عليه أن يجيب على الكثير من الأسئلة، فإن لم يكن، فإن الكاردينال يكون قد فاز بحياة ناجحة». ومثل هذا الرثاء الغامض كان لا شك سيسر رجل الدولة، والذى حقق فى الواقع نجاحا واسعا يتجاهل ويعلو على المعتقدات الدينية الرئيسية للعصر. وقليل من رجال الدولة هم الذين يستطيعون أن يدعو أنهم تركوا أثرا فى التاريخ كما تركه الكاردينال ريشيليو، فهو فى الواقع الأب والمؤسس فى نظام الدولة الحديث، فقد نشر مفهوم بـ RAISON D'ETAT ومارسه وطبقه بشكل لا يلين لصالح بلده، وتحت رعايته، فقد حل هذا المبدأ محل مفهوم القرون الوسطى حول القيم الأخلاقية العالمية، وجعله المبدأ الموجه للسياسة الفرنسية وبداءة، فقد حاول أن يمنع سيطرة آل هاسبورج على أوروبا، ولكنه فى النهاية ترك ميراثا للقرنين التاليين اغرى خلفائه لكى يضعوا الأولوية لفرنسا فى أوروبا . غير أنه من فشل هذه الطموحات الفرنسية، نشأ نظام توازن القوى أولا، كحقيقة من حقائق الحياة، ثم كنظام لتنظيم العلاقات الدولية. وكان ريشيليو قد وضع المصلحة القومية الفرنسية فوق كل الأهداف الدينية، ولم تمنعه مرتبته ووضعه ككاردينال من أن يرى محاولة آل هاسبورج لإعادة تأسيس العقيدة الكاثوليكية كتهديد جيوبوليتيكى لأمن فرنسا، ولم يكن هذا بالنسبة له عملا دينيا ، ولكنه مناورة سياسية من النمسا؛ لتحقيق السيطرة فى وسط أوروبا ومن ثم خفض مكانة فرنسا إلى المرتبة الثانية.

والواقع أن نجاح سياسة الـ RAISON D'ETAT كان يعتمد فوق كل شىء على القدرة على تقييم علاقات القوى، وإن كان تحديد حدود القوة يتطلب مزيجا من الخبرة والسيطرة ، والتكيف الدائم مع الظروف، وفى الممارسة والتطبيق، فقد ثبت أنه من الصعوبة البالغة ، العمل بشكل واقعى، ففى الوقت الذى يجب أن يكون توازن القوى محسوبا بكل دقة ، على المستوى النظرى، قد ثبت أنه، فى التطبيق ، من الصعوبة البالغة صياغته بشكل واقعى، بل ما هو أكثر تعقيدا تحقيق التناسق بين حسابات المرء وبين حسابات الدول الأخرى والتى هى الشرط الأول لعمل توازن القوى، وتحقيق حالة التوافق حول طبيعة التوازن أى بتأثير عادة الصراعات من فترة لأخرى. وبالنسبة لريشيليو فإنه لم

يكن لديه أى شك على قدرته على أن يواجه هذا التحدى، كما كان فى إمكانه أن يقيم وبدقة رياضية تقريبا العلاقة بين الوسائل والأهداف. وقد كتب فى شهادته السياسية: «أن المنطق يتطلب أن يكون ثمة تناسبا رياضيا بين الوضع المطلوب تأييده والقوة المطلوبة لهذا التأييد».

لقد جعل القدر من ريشيليو أميرا للكنيسة، ووضعت قناعاته الفكرية فى صحبة عقلانيين من أمثال ديكارت، وسينوزا، الذين تصوروا أن العقل الإنسانى، يمكن تخطيطه علميا، ومكنته الفرصة أن يحول النظام الدولى إلى مصالح أمته، فقد كان يمتلك إدراكا عميقا لأهدافه، ولكن أفكاره لم تكن لتسود، إن لم يكن قادرا على أن يوجه تكتيكاته نحو أهداف استراتيجية. وإزاء من انتقده بأنه يضحى بالقيم الدينية والأخلاقية، فقد حول ريشيليو حججهم، وجعلهم يبدون وكأن أفكارهم هى التى فى أزمة وخطر، فما دامت فرنسا هى أكثر القوى الأوروبية الكاثوليكية نقاء أخلاقيا، فإن ريشيليو بخدمته لمصالح فرنسا، فإنه كان يخدم أيضا مصالح العقيدة الكاثوليكية وإزاء نقاد آخرين اتهموه بالتلاعب بالعقيدة مثلما فعل معلمه ميكيافللى حيث شرح العقيدة وطبقها وفقا لخدمته ومخططه، ورغم ان ريشيليو كان حقا كما وصفه نقاده فى استخدامه للدين إلا أنه كان يرد عليهم بأنه، وكما فعل ميكيافللي، كان مجرد محلل للعالم كما هو، ومثل ميكيافللي فربما كان يفضل عالما من الأحاسيس الأخلاقية الأكثر تهذيبا، ولكنه كان مقتنعا بأن التاريخ سوف يحكم عليه كرجل دولة وبمدى حسن استخدامه للظروف والعوامل المتاحة.

والحقيقة ، وباعتبار أن رجل الدولة إنما يختبر وفقا للأهداف التى وضعها لنفسه، فإن ريشيليو يجب أن يذكر كأحد الشخصيات الرئيسية التى وضعت بذور التطور فى التاريخ الدبلوماسى الحديث، ولكنه قد خلف وراءه عالما يختلف بشكل جذرى عن ذلك الذى وجده وصاغ السياسة التى سوف تتبعها فرنسا للقرون الثلاثة التالية، ولمائتى عام بعده،كانت فرنسا بالفعل أكثر الدول نفوذا وأوروبا، وظلت عاملا رئيسيا فى السياسة الدولية حتى هذا اليوم، وقليلا من رجال الدولة فى أى دولة، يستطيعون أن ينتزعوا إنجازا مشابها..

دبلوماسية مؤتمر فيينا: THE CONCERT OF EUROPE

فى الوقت الذى كان فيه نابليون يتحمل ويعانى فى منفاه الأول فى آلبا، كان المنتصرون فى الحرب النابليونية يجتمعون فى فيينا فى سبتمبر عام ١٨١٤ للتخطيط لعالم

ما بعد الحرب، وقد استمر مؤتمر فيينا فى الاجتماع خلال فترة هروب نابليون من آلبا وهزيمته النهائية فى واترلو، كما أصبحت الحاجة إلى إعادة بناء النظام الدولى أكثر إلحاحا.

فى هذه الفترة، كان دبلوماسييها العظام هم: الامير مترنيخ، الامير فون هاردنبرج، تاليران الفرنسى، لورد CASTLEREGH وزير خارجية بريطانيا العظمى . وقد انجز هؤلاء الدبلوماسيون الخمسة العظام ما شرعوا فى تحقيقه إذ بعد مؤتمرهم مرت أوروبا بأطول فترة سلام عرفتها إذ لم تجرى حرب على الإطلاق بين القوى العظمى لمدة أربعين عاما، وبعد حرب القرم لعام ١٨٥٤ ، لم تشهد أوروبا حربا عاما لستين عاما أخرى، ومن المفارقات، أن هذا النظام الدولى، الذى أقيم وبشكل واضح باسم توازن القوى أكثر من أى نظام سبقه، قد اعتمد بشكل أقل على القوة للإبقاء عليه، وقد حدثت هذه الحالة الفريدة جزئيا لأن التوازن قد صُمم بشكل جيد وبشكل لم يكن من الممكن الإطاحة به إلا من خلال جهد يصعب حشده، أما أكثر الأسباب أهمية أن دول القارة قد جمعها بشكل وثيق إحساس بالقيم المشتركة، وبحيث أن التوازن لم يكن ماديا فقط وإنما إخلاقيا كذلك. وهكذا كانت القوة والعدالة JUSTICE AND POWER فى حالة تناسق جوهرى. وقد حقق توازن القوى فرص استخدام القوة، وحقق الإحساس المشترك بالقيم الرغبة فى استخدام القوة، وبدا واضحا أن النظام الدولى الذى لن يعتبر عادلا سوف يتعرض للتحدى آجلا أو عاجلا. ولكن كيف يتصور الناس عدالة نظام دولى ما؟ إن ذلك سوف يتحدد بدرجة كبيرة بمؤسساته الداخلية ، وكذلك بالحكم على قضايا واتجاهات سياساته الخارجية. وقد يثير ذلك عددا من التشابهات والاختلافات بين مترنيخ وبين ويلسون من حيث مفهوم وفكرة استناد النظام الدولى على العدالة. ففى الوقت الذى تشابهت فيه مواقفهم من أن طبيعة المؤسسات الداخلية تحدد سلوك الدولة دوليا، إلا أن مترنيخ كان يعتقد فى ذلك على أساس مجموعة مقدمات مختلفة تماما. فبينما اعتقد ويلسون أن الديموقراطيات محبة للسلام ومعقولة بطبيعتها، فإن مترنيخ اعتبر أنه لا يمكن التنبوء بها. وباعتبار ما رآه من المعاناة التى ألحقتها فرنسا الجمهورية بأوروبا ، فقد طابق مترنيخ بين السلام وبين الحكم القائم على الشرعية، وتصور أن الحكام المتوجون والأسر الحاكمة القديمة، إن لم تكن تحافظ على السلام فعلى الأقل تحافظ على بناء الأساس للعلاقات الدولية وبشكل يجعل من الشرعية الدعامة التى تجمع النظام الدولى

وهكذا فإن الخلاف بين فهم كلا من مترنيخ وويلسون للعدالة الداخلية والنظام الدولى لم يعد مهما فى ذاته فقط، وإنما لفهم وجهات النظر المتعارضة لأمريكا وأوروبا . فقد شن

ويلسون حملة لمباديء ظن أنها ثورية وجديدة، فبينما حاول مترنيخ ان يؤسس قيما اعتقد أنها قديمة، وويلسون الذى كان يحكم دولة خلقت لكى تجعل الإنسان حرا، اقتنع بأن القيم الديموقراطية يمكن أن تسد فى مؤسسات عالمية جديدة تماما، أما مترنيخ الذى يمثل بلدا قديما تطورت مؤسساته تدريجيا وبشكل غير مرئى غالبا، فإنه لم يعتقد أن الحقوق يمكن أن تخلق بالتشريع، فالحقوق فى نظره تتأسس وببساطة فى طبيعية الأشياء، وسواء تأكدت بالتوازن أو المؤسسات فتلك اعتبارات فنية فى جوهرها وليس لها صلة بتحقيق الحرية.

وفى مرحلة مابعد مؤتمر فيينا، لعب مترنيخ دورا حاسما فى إدارة النظام الدولى، وتفسير احتياجات التحالف المقدس. وقد أجبر مترنيخ على القيام بهذا الدور لأن النمسا كانت الطريق المباشر لكل عاصفة، ولأن مؤسساتها الداخلية كانت أقل توافقا مع الاتجاهات الليبرالية للقرن. ولأن مترنيخ كان يدرك الأخطار التى تتعرض لها النمسا من جانب ألمانيا وروسيا وإنها سوف تستهلك نفسها فى أى صراع معهما، لذلك كانت سياسته تفادى تحمل عبء المواجهة، وقد مكنت المهارة الاستثنائية لدبلوماسية مترنيخ من ترجمة الحقائق الدبلوماسية المألوفة إلى مبادىء فعالة للسياسة الخارجية، كما تمكن من إقناع حليفتى النمسا الوثيقتين، والتى كانت كلا منهما تمثل تهديدا جيوبولتيكيا للامبراطورية النمساوية، إن الخطر الأيديولجى الذي تعرضه الثورة يرجح فى أهميته وخطورته الفرص الاستراتيجية التى تتيحها، وهكذا فإن النمسا التى كانت تبدو على سرير الموت بعد انقضاض نابليون قد حصلت على فرصة جديدة للحياة من خلال النظام الذى أقامه مترنيخ، من أن تعيش مائه عام أخرى. إن مترنيخ الذى كان نتاجا عقلانيا لعصرالتنوير، وجد نفسه مدفوعا إلى قتال ثورى غريب عن مزاجه، والى أن يصبح الوزير الأقوى لدولة تحت الحصار والتى لا تستطيع ـ تغيير بنيتها الأساسية. وقد كانت رصانة الروح واعتدال الهدف هو أسلوب مترنيخ:

SOBRIETY OF SPIRIT AND MODERATION OF OPGECTIVE وكان «يقول إننا نهتم بشكل أقل بالافكار المجردة،ونقبل الأشياء كما هى، ونحاول لاقصى قدرتنا أن نحمى أنفسنا من الأوهام حول الواقع» وكان يقول «إن عبارات مثل الدفاع عن المدنية، والتى بالفحص الدقيق إنما تتبدد فى الهواء، لا يمكن أن تحقق شيئا ملموسا.» بمثل هذه الاتجاهات كان مترنيخ يجاهد لكى يتفادى أن تكتسحه العاطفة التى تفرضها اللحظة،ولهذا كان الاعتدال هو فضيلته الأولى وفلسفته كما كانت ضرورة عملية. وفى

تعلميات لسفير نمساوى كتب يقول إن تصفية ELIMINATION ادعاءات الآخرين هو أكثر أهمية من أن تضغط وتفرض مطالبنا، وسوف نحصل على الكثير كلما طالبنا بالقليل.. وكلما كان ذلك ممكنا» فقد حاول أن يهدىء من غلوء مشروعات قيصر روسيا الهجومية وشغله بمشاورات مستهلكة للوقت، وبحصره فيما يمكن أن يتحقق حوله توافق أوروبى فى الآراء. وهكذا مكنت براعة وحذق مترنيخ بلاده من أن تسيطر على مجرى الاحداث لجيل كامل بتحويل روسيا ـ القوة التى كان يخشاها ـ إلى شريك على أساس من وحدة المصالح المحافظة، وبريطانيا التى كان يثق فيها، إلى ملاذ أخير لمقاومة التحديات للتوازن القوى.

كاسترله CASTLEREGH ، كانينج CANNING ، بالمرستون:

وينتقل كيسنجر إلى بحث أدوار ومذاهب شخصيات دبلوماسية بريطانية ثلاث وتصورهم للمصلحة البريطانية. ثم يعرج على شخصيات كان لهما دورا ثوريا ليس فقط فى سياسة دبلوماسية بلدهما وانما فى السياسة والدبلوماسية الأوروبية ، ونعنى بهما نابليون الثالث وبسمارك.

رغم أن خلفاء الدبلوماسى والمفاوض البريطانى كاسترلة لم يفهموا القارة جيدا كما فهمها، إلا أنهم كان لديهم سيطرة وفهما أكثر لما يمثل المصلحة البريطانية القومية الجوهرية، وقد أتبعوا وطبقوا هذا الفهم بمهارة استثنائية واصرار . ولم يضع كانينج الذى خلف كاسترله مباشرة وقتا فى تصفية كل الروابط الباقية والتى حافظ من خلالها كاسترله على نفوذه على النظام المؤتمر الأوروبى، وبعد تولية وزارة الخارجية لم يترك أى شك إن مبدأه الموجه هو المصلحة القومية والتى لم تكن تتفق من وجهة نظره مع الارتباطات البريطانية فى أوروبا: «إن ارتباطنا الحميم بنظام أوروبا لا يعنى أننا مدعوون لأن نورط أنفسنا فى كل مناسبة ، ونشاط متطفل فى مشاغل الأمم التى تحيط بنا. وبعبارات أخرى، فإن بريطانيا العظمى سوف تحتفظ بحقها فى أن تكون لها طريقها الخاص وفقا لكل حالة وخصائصها ، يقودها فى ذلك فقط مصلحتها القومية.»

وقد حدد بالمرستون المفهوم البريطانى للمصلحة القومية بقولهحين يسألنى الناس عما يسمى بالمصلحة القومية فإن الإجابة الوحيدة أننا نعنى أننا نفعل ما يبدو الأفضل فى كل مناسبة وكل حدث حين حدوثه ، جاعلين من مصلحة بلدنا مبدأنا الموجه مضيفا عبارته الشهيرة ليس لدينا حلفاء أبديين ولا أعداء دائمين: WE HAVE NO ETERNABLE ALLIES AND NO PERMMANENT ENEMIES «إن مصالحنا أبدية وخالدة ومن

واجبنا أن نتبعها». وهذا فى الواقع تكرار المعنى أن بريطانيا العظمى ليس لديها استراتيجية رسمية لأن قادتها يفهمون المصلحة الوطنية لبريطانيا بشكل جيد وعميق، وبشكل يجعلهم يتصرفون بصورة تلقائية وفى كل موقف حين ينشأ، واثقين أن جمهورهم سوف يؤيدهم.

ثوريان : نابليون الثالث، و بسمارك.

أنتج انهيار نظام مترنيخ فى أعقاب حرب القرم ما يقارب حقبتين من الصراع، ومن وسط الغليان ، بزغ توازن جديد للقوى فى أوروبا. فقد خسرت فرنسا، التى شاركت فى عدد من حروب هذه الفترة، مركزها البارز لألمانيا، وما هو أكثر أهمية، فإن الضوابط الأخلاقية لنظام مترنيخ قد اختفت. وقد أصبح يرمز على هذا الغليان باستخدام عبارة تنم عن توازن غير مضبوط وغير متحكم فيه للقوى، وبعبارة: REAL POLITIK التى حلت محل التعبير الفرنسي: RAISON D'ETAT دون تقديم تفسير محدد لها.

وقد كان هذا النظام الأوروبى الجديد من صنع شخصيتين لم يكن من المحتمل ان يتعاونا وأصبحا بعد ذلك بالفعل خصمين لدودين: الإمبراطور نابليون الثالث، واوتوفون بسمارك. وقد تجاهل الرجلان معتقدات مترنيخ القديمة والتى تقول أنه فى صالح الاستقرار فإنه يجب الحفاظ على الحكام المتوجون لدول أوروبا، وان الحركات الوطنية والليبرالية يجب أن تكبت، وأنه ـ فوق كل شيء فإن العلاقات بين الأمم يجب أن تتقرر بالإجماع بين حكام يتشابهون ويلتقون فى الفكر، وعلى هذا أقاموا سياستهم وفقا لـ REAL POLITIK وهى السياسة التى ترى أن العلاقات بين الدول انما تتحدد بالقوة الصرفة RAW POWER وأن الأقوى هو الذى سيسود.

وكان نابليون الثالث، ابن اخت نابليون الأول الذى مزق أوروبا، كان فى شبابه عضوا فى الجمعيات الإيطالية السرية التى كانت تحارب ضد النمسا وسيطرتها فى إيطاليا، وحين انتخب رئيسا عام ١٨٤٨ ، فإن نابليون، ونتيجة انقلاب، قد أعلن نفسه إمبراطورا عام ١٨٥٢ . أما بسمارك، فقد كان سليل عائلة بروسية بارزة، ومعارضة عنيفا للثورة الليبرالية لعام ١٨٤٨ فى روسيا، وأصبح رئيسا للوزراء عام ١٨٦٢ لأن الملك المتردد لم يجد طريقا آخر للتغلب على الجمود فى العلاقة مع البرلمان واختلافه معه حول المخصصات العسكرية.

وفيما بينهم استطاع نابليون الثالث وبسمارك أن يحولا تسوية فينا، وكذلك الإحساس بضبط النفس الذى نشأ من الاعتقاد المشترك فى قيم محافظة. والواقع أنه لم يكن من الممكن تصور شخصيتين أكثر تباينا من نابليون الثالث وبسمارك، إلا أن مقتهما لنظام فينا

قد وحد بينهما . وقد كرهه نابليون الثالث لأنه اعتقد أنه صمم لاحتواء فرنسا، ورغم انه لم يكن مصابا بجنون العظمة وطموحات عمه، فإن القائد الغامض شعر أن فرنسا من حقها أن تحصل على مكاسب إقليمية ولا تريد أوروبا موحدة تقف فى طريقها. وأكثر من ذلك، فقد اعتقد أن القومية والليبرالية هى قيم يطابق العالم. بينهما وبين فرنسا. وأن نظام فينا بكبته لهذه القيم انما يكبح جماح طموحه. أما بسمارك، فقد اعتقد أنه إذا كانت بروسيا سوف تحقق مصيرها وتوحد ألمانيا فإن نظام فينا يجب أن يحطم.

وفى نفس الوقت الذى كانا يحتقران فيه النظام القائم، فإن الثوريان قد انتهى بهما الأمر إلى أن يقفا فى قطبين متعارضين تماما فيما يتعلق بإنجازاتهما.

وقد حقق نابليون عكس ما شرع فى تحقيقه. فبتصوره لنفسه كمحطم لتسوية فينا وملهم القومية الأوروبية، فقد جعل الدبلوماسية الأوروبية فى حالة من الغليان لم تكسب منها فرنسا شيئا على المدى الطويل بينما استفادت منه دولا أخرى. أما ميراث بسمارك فقد كان العكس تماما مؤكداً أن قلة من رجال الدولة هم الذين يغيرون مجرى التاريخ، فقبل بسمارك كان من المتوقع أن تتحقق الوحدة الألمانية ومن خلال نوع من حكومة برلمانية دستورية فرضتها ثورة ١٨٤٨ ولكن بعد ذلك بخمس سنوات، كان بسمارك فى طريقه لحل مشكلة الوحدة الألمانية التى أربكت أجيال من الألمان ، ولكنه فعل هذا على أساس القوة الروسية المسيطرة وليس من خلال عملية برلمانية دستورية. وجانب السخريةفى حياة نابليون الثالث هو أنه كان مناسبا للسياسة الداخلية، والتى كانت تثير ملله أساسا، أكثر مما كان مع المغامرات الخارجية والتى كان يفتقر فيها لكلا من الجرأة والبصيرة.

والواقع أن نابليون الثالث قد فعل الكثير لتطور فرنسا، قد جاء بالثورة الصناعية لفرنسا، وشجعته فى ذلك مؤسسات مالية واسعة لعبت دورا حاسما فى تطور فرنسا الاقتصادى، وبنى باريس فى مظهرها الضخم والحديث، ففى بداية القرن ١٩ كانت باريس ما زالت مدينة من مدى العصور الوسطى ذات شوارع ضيقة، وقد زود نابليون مستشاره المقرب البارون هوسمان بالسلطة والميزانية لبناء المدينة الحديثة ذات الطرق الواسعة والمبانى الضخمة والآفاق الواسعة.

أما بسمارك فقد كانت إنجازاته غير متوافقة مع شخصية رجل «الحديد والدم»، فقد كان يكتب نثرا ذو بساطة غير عادية وجمال، ويحب الشعر، ويدون† صفحات فى مفكرته الخاصة ، ورجل الدول الذى مجد الـ REAL POLITIK كان يمتلك احساسا غير عادى بالتناسب، وقدره على أن يحول القوة إلى أداة لضبط النفس.

ما هى الثورية، إذا كان الجواب على السؤال بلا غموض فإن ثوريين قلائل هم الذين سيجيبون ، ذلك أن الثوريين غالبا ما يبدأون من مركز الضعف، وإذا كانوا قد سادوا فلأن النظام القائم غير قادر على أن يدرك ضعفه وهكذا كان الامر مع بسمارك فقد بدأت حياته خلال ازدهار نظام مترنيخ ومن عالم يتكون من ثلاثة عناصر رئيسية: توازن القوى الأوروبى، توازن ألمانى بين النمسا وبروسيا، ونظام تحالفات قائم على وحدة القيم المحافظة. وعلى مدى جيل بعد تسويات فينا، ظلت التوترات الدولية منخفضة لأن كل الدول الكبيرة تصورت مصلحة فى بقائها المتبادل، وبالتزام حكام روسيا والنمسا وبروسيا بمبادىء كلا منهم.

وهكذا كانت مآسى نابليون الثالث فى طموحاته التى تجاوزت قدراته ، أما مأساة بسمارك، فإن قدراته قد زادت وتعدت قدرة مجتمعه على استيعابها والتجاوب معها. وقد كان الميراث الذى خلفه نابليون الثالث لفرنسا شللا استراتيجيا، إما الميراث الذى تركه بسمارك فقد كان عظمه لم تفهم جيدا.

روسيا ودورها في السياسة الدولية

منذا أن دخلت روسيا الساحة الدولية، أنشأت لنفسها وضعا مسيطرا وبسرعة مدهشة، ففى مؤتمر السلام فى وستفاليا عام ١٦٤٨ ، لم يكن لروسيا أهمية كافية لكى يمثل فيه، ولكن منذ عام ١٧٥٠ أصبحت روسيا مساهما نشطا فى كل الاجتماعات الأوروبية الهامة. وفى منتصف القرن الثامن عشر، كانت روسيا بالفعل تثيرعدم راحه غامضة للمراقبين الغربيين ، وكان التناقض هو أهم الملامح المميزة لروسيا. ورغم أنها كانت دائما فى حرب وتوسع فى كل اتجاه، إلا أنها كانت تعتبر أنها معرضة للتهديد، وكلما أصبحت الإمبراطورية متعددة اللغات والقوميات، كلما شعرت روسيا بأنها معرضة للخطر، جزئيا بسبب حاجتها لأن تعزل القوميات المختلفة عن جيرانهم. ولكى يدعموا حكمهم، والتغلب على التوتر بين سكان الامبراطورية المتعددة، خلق كل حكام روسيا أسطورة التهديد الأجنبى، والتى تحولت إلى نبوءة اخرى من النبوءات التى حققت نفسها SELF Fullfilled PHROPECY عام١٨٦٤ أصبح الأمن مترادفا مع التوسع المستمر.

وللتناقض، فقد كان من الأمور الصحية أنه فى فترة ٢٠٠ عاما الماضية تم المحافظة على توازن القوى الأوروبى فى عدة مناسبات بالجهود والبطولة ، فبدون روسيا، فإن نابليون وهتلر كانا سوف ينجحوان إلى حد كبير فى إقامة امبراطوريات عالمية.

ومثل الامريكيين، فإن الروس ينظرون إلى أنفسهم على أنهم استثناء، ومن ناحية أخرى، فقد حدد أحد الروائين الروس الفارق بين القيم الروسية والغربية بقوله: كل شيء هناك قائم على العلاقات التعاقدية، وكل شيء هنا قائم على العقيدة والإيمان. ومن الواضح أنه بعد الثورة البولشفية، فان الاحساس العاطفي العميق بالرسالة قد انتقل إلى الشيوعية العالمية. ويكمن التناقض في التاريخ الروسي في الازدواجية والتضارب بين قوة الدفع التي تحركها الرسالة، وبين الإحساس المتغلغل بعدم الأمن. إن وجهة نظر روسيا الممجدة لنفسها نادرا ما شاركها فيها العالم الخارجي، ورغم الانجازات غير العادية في الأدب، والموسيقى، فإن روسيا لم تكن أبدا مصدرا للجاذبية الحضارية للشعوب التي سيطرت عليها كمافعلت قوة اخرى في بعض مستعمراتها. كما لم ينظر إلى الإمبراطورية كنموذج لا من مجتمعات أخرى أو من رعاياها،وقد ظلت روسيا دائما بالنسبة للعالم المحيط بها قوة أساسية، تنطوي على الأسرار، ويكتنفها الغموض، وتجنح إلى التوسع ومن ثم يجب أن تُخشَى وتُحتَوى من خلال التعاون أو الاحتواء.

وكان بنيامين دزرائيلي واحدا من أغرب الشخصيات غير العادية التي ترأست الحكومة البريطانية. وحين علم أنه سوف يرشح لرئاسة الوزارة هلل!« ..لقد تسلقت إلى قمة القطب المنزلق.. »وعلى النقيض، حين دعى خصمه الدائم وليام جلادستون لكي يخلفه في نفس العام كتب تأملا مسهبا حول مسئولية السلطة وواجبها المقدس تجاه الله والدعاء «أن يمنحه المولى الثبات المطلوب لكي يؤدي المسئوليات الخطيرة لمنصب رئيس الوزراء». وقد كانت ردود الفعل هذه من جانب الرجلين العظيمين اللذين سيطرا على السياسة البريطانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصور طبيعتهما المتناقضة: دزرائيلي المتطلع للتقدير والثناء، اللامع، الماكر، المتقلب المزاج، الزنقي، وجلادستون ، الورع، العالم الجاد.

وقد كان خط حياة دزرائيلي غير متوقع. وباعتبار أنه كان روائيا في شبابه ، فقد كان عضوا في الأسرة الأدبية أكثر منه صانعا للسياسة، وكان أكثر احتمالا أن ينهي حياته ككاتب متألق ومجادل أكثر من أن يكون أحد الشخصيات السياسية للقرن التاسع عشر الذي سيضع بذور التطور. ومثل بسمارك، اعتقد ذررائيلي في الرجل العادي وأنه أكثر ميلا للروح والفلسفة المحافظة وكرئيس لحزب المحافظين، طور ذررائيلي شكلا جديدا للإمبريالية مختلفا عن التوسع التجاري الذي مارسته بريطانيا العظمى منذ القرن السابع عشر ، بالنسبة له، لم تكن الامبراطورية ضرورة اقتصادية وانما ضرورة روحية ومطلب أساسي لعظمة بلده، وكان يقول « .. إن المسألة هي إما أن تصاغ انجلترا على نموذج المبادىء القارية وتلقى في الوقت

المناسب مصيرها، أو أن تكون بلدا عظيما يستيقظ أبناؤها ويحصلون على مراكز بارزة، وليس فقط احترام بعضهم البعض، وإنما على احترام العالم».

سياسات وساسة ما بعد الحرب الاولى وتحالفاتها:

وينتقل كيسنجر إلى مرحلة آخرى فى تاريخ الدبلوماسية وشخصياتها، وهى مرحلة ما بعد الحرب الأولى فيقول إنه كان على ألمانيا لكى تضمن لنفسها مكانا قياديا وطويل الأجل، أكثر مما تمتعت به قبل الحرب الأولى فى حاجة إلى رجل دولة ذو بصيرة وصبر لكى يخلصها من قيود معاهدة فرساى. وقد بزغ مثل هذا الرجل عام ١٩٢٣ حين أصبح جوستاف سترسمان GUSTAV STRESSMANN وزيرا للخارجية ثم مستشارا، وقد وصفت مهمته لتجديد قوة ألمانيا بالإنجاز FULFILLMENT واعتمدت هذه السياسة من عدم الارتياح الواضح من فرنسا وانجلترا ومن المساحة التى تفصل بين مبادئهم ومواد معاهدة فرساى. وقبل هذه السياسة اعتمدت ألمانيا على المقاومة، وحرب العصابات الدبلوماسية ضد مبادىء المعاهدة. وعلى عكس أسلافه، فقد فهم سترسمان أنه أيا كانت عدم شعبية معاهدة فرساى، وبغض النظر عن كراهيته هو نفسه لها، فإنه فى حاجة إلى المساعدة البريطانية والفرنسية لكى يزيل أكثر موادها إرهاقا لألمانيا.

ومع تغير اسلوب الدبلوماسيين بعد الحرب الأولى، فإن الاتجاه نحو صبغ العلاقات بالطابع الشخصى قد تزايد وحين رحب السياسى والدبلوماسى ووزير الخارجية الفرنسى برياند ARISTIDE BRIAND بألمانيا فى عصبة الأمم، فقد ركز على صفات سترسمان الإنسانية، ورد سترسمان بنفس المعنى.

وقد كان أوستن شمبرلين سليل أسرة بارزة، وابن جوزيف شمبرلين السياسى اللامع الماكر الزئبقي والمناصر للتحالف مع ألمانيا فى اوائل القرن، وكان الاخ غير الشقيق لنيفل شمبرلين الذى صنع تسوية ميونيخ، ومثل أبيه، فقد امتلك اوستن شمبرلين سلطة ضخمة فى بريطانيا العظمى وحكوماتها الائتلافية، ولكن ومثل أبيه ايضا، فإنه لم يصل الى المنصب الاعلى، وكان الزعيم الوحيد لحزب المحافظين الذى لم يشغل منصب رئيس الوزراء، وكما وصفته إحدى التعليقات أن أوستين يلعب دائما لعبة، ولكنه دائما ما يخسرها وقال هارولد ماكميلاق عنه «إنه محترف جيد ولكن ليس بأسلوب عظيم، لقد كان واضحا ولكن ليس قاطعا، وكان موضع احترام، ولكنه لم يكن أبدا موضع خوف».

وكان إنجاز شمبرلين الكبير هو دوره فى صياغة ميثاق لوكارنو، ولأن شمبرلين كان معروفا بميله لفرنسا وقال مرة «أنه يحب فرنسا مثل ما يحب امرأة » ، فإن سترسمان كان يخشى تحالفا فرنسيا بريطانيا، وكان هذا الخوف هو الذى دفع سترسمان أن يشرح فى سياسته التى أدت إلى معاهدة لوكارنو.

أما آرستيدبرياند فقد كان نموذجا للشخصية الكلاسيكية فى الجمهورية الثالثة وقد بدأ حياته فى الجناح اليسارى، وأصبح عنصر ا دائما فى الحكومات الفرنسية المتتالية وكرئيسا للوزراء من وقت لآخر، وكوزير للخارجية مرارا، حيث عمل بهذه الصفة فى ١٤ حكومة، وأدرك مبكرا أن مركز فرنسا النسبي فى مواجهة ألمانيا يتراجع واستخلص إن إعادة التصالح مع ألمانيا يمثل أفضل أمل لفرنسا فى أمن طويل الأجل. واعتمادا على شخصيته المرحة البهيجة فقد كان يأمل أن يساهم فى تخليص ألمانيا من أكثر مواد معاهدة فرساى إرهاقا ومشقة. وكانت هذه العلاقة والتفاهم المشترك بين برياند وسترسمان هى التى ادت إلى معاهدة لوكارنو سبتمبر عام ١٩٢٦ والتى من خلالها صاغ رجلى الدولة صفقة شاملة تهدف إلى تسوية الحرب إلى الأبد وتعيد بمقتضاها فرنسا مقاطعة سار SAAR بدون الاستفتاء الذى نصت عليه معاهدة فرساى، وأن تنسحب القوات الفرنسية خلال عام من اقليم الراين RHINELAND مقابل ان تدفع ألمانيا تعويضات قدرها ٣٠٠ مليون فرنك فرنسى كتعويض عن مناجم سار. وكان برياند فى هذا يقايض فى الواقع أكثر مواد فرساى إثارة للجدل باستعادة القوة الاقتصادية لفرنسا. وقد أثبتت المعاهدة أن المقايضة لم تكن متساوية بين البلدين فقد كانت مكاسب ألمانيا دائمة ولا رجعة فيها أما فرنسا فقد كانت مكاسبها ذات جانب واحد وعابرة.

تيودرو روزفلت وويدرو ويلسون

كان تيودرو روزفلت محللا عميقا لتوازن القوى، وقد أصر على أن يكون لأمريكا دورا عالميا لأن مصالحها الوطنية تتطلب ذلك، ولأن توازنا للقوى العالمية كان أمرا غير متصورا بالنسبة له دون اشتراك أمريكا، أما بالنسبة لويدرو ويلسون، فإن تصوره لدور أمريكا فى العالم كان أقرب إلى الرسالة MESSEANIC فأمريكا لديها، التزام ليس تجاه توازن القوى، إنما تجاه نشر مبادئها فى العالم، وهذه المبادىء يعتقد أن السلام يتحقق بنشر الديمقراطية، وان الدول يجب أن يحكم عليها بنفس المعايير الأخلاقية التى تحكم بها على الأفراد، وأن قيام نظام دولى للقانون له احترامه إنما يخدم المصلحة الوطنية. وقد تبدو وجهات نظر ويلسون حول الأسس الأخلاقية للسياسة الخارجية غريبة بل ومنافقه للدبلوماسيين الأوروبيين القدامى

والتقليديين. ورغم هذا فإن مبادىء ويلسون قد عاشت فى الوقت الذى تجاوز فيه التاريخ تحفظات معاصريه. وقد كان ويلسون وفكره وراء إنشاء عصبة الأمم ولكى تحفظ السلام من خلال نظام للأمن الجماعى أكثر من نظام التحالفات، ورغم أن ويلسون لم يستطع أن يقنع بلاده بمزاياها، فإن الفكرة قد عاشت وتحققت بعد ذلك فى صورة هيئة الأمم.

دبلوماسية ما بعد الحرب الثانية وشخصياتها:

كان ستالين فى الحقيقة شخصا شاذا ومنحرف السلوك، ولكنه كان فى إدارة العلاقات الدولية على درجة عالية من الواقعية، وكان صبورا وماهرا، وكما كان لا يعرف الصفح ولا سبيل إلى تهدئته وكان باختصار ريشيليو عصره. وفيما هو أكثر من هذه المظاهر السيكلوجيه لشخصية ستالين، كان له جوهر فلسفى جعله غير مفهوم للقادة الغربيين. وبالنسبة للفكر الشيوعي، وبشكل أكثر بالنسبة لستالين، فإنه فى أية مفاوضات أو مساومات ،فإن أى تنازل لا يقدم، إذا ما قام على الإطلاق، إلا إلى الواقع الموضوعى OPJECTIVE REALITY وليس أبدا لمجادلات الدبلوماسيين والمفاوضين المقابلين ، فكل شىء فى العملية الدبلوماسية يتوقف على تقييم علاقات القوى: CORRELATION OF POWER

وقد كان ستالين الأيديولجى العظيم ، يضع فى الحقيقة أن أيديولوجيته فى خدمة الـ REAL POLITIC وبحيث أن شخصيات مثل ريشيليو أو بسمارك لم تكن لتجد صعوبة فى فهم استراتيجية . وكان المتحدث الرئيسى والمنفذ للسياسة الخارجية السوفيتية الجديدة مكسيم ليتينوف MAIM LITINOV مهذبا، ومصقولا متدفقا فى إنجليزيته، وكان يهوديا من أصول بورجوازية ومتزوج من ابنة مؤرخ بريطاني. وهكذا فإن مؤهلاته الحقيقية كانت ترشحه لكى يكون عضوا بارزا فى طبقته أكثر منه رجلا له مستقبل فى الدبلوماسية السوفيتية، ولكن تحت قيادته الدبلوماسية السوفيتية، انضم الاتحاد السوفيتى إلى عصبة الأمم، وأصبح أكثر مناداة ومناصرة للداعين للأمن الجماعى.

فرانكلين روزفلت: FRANKLIN DELAN ROOSEVELT

كان فرانكلين روزفلت طرازا.. من الشخصيات التى ينطبق عليهم القول بأن كل الشخصيات العظمية تسير دائما وحيده. وALL GREAT LEADERS WALK ALONE وتنبع خصائصهم المميزة من قدرتهم على تمييز وادراك التحديات التى لم تكن واضحة بعد لمعاصريهم وهكذا، فقد قاد روزفلت شعبا انعزاليا إلى حرب بين بلدين كانت صراعاتهم فى وقت قريب فقط تبدو إلى حد كبير غير متفقة مع القيم الأمريكية وليس لها صلة بالأمن الأمريكى.

وباستنثاء إبراهام لينكولين، فإن رئيسا أمريكيا لم يحدث هذا الامرالحاسم فى التاريخ الامريكى، وقد اقسم لينكولين قسم الولاء فى قت من عدم اليقين القومى وفى وقت من اهتزاز الثقة الامريكية بشكل كبير فى قدرة العالم الجديد المطلقة على التقدم والتغلب على الركود الكبير GREAT DEPRESSION كما كانت الديمقراطيات تبدو كحكومات غير ديمقراطية تترنح واليسار يكتسب أرضا جديدة.

وكان روزفلت وهو الزعيم المتحمس هو الذى استخدم جاذبيته لكى يحافظ على تباعده وتحفظه وكان مزيجا غامضا من المضارب السياسى ذو البصيرة وبعد النظر. POLITICAL MANIPULATION AND VISIO NARY. وكان يحكم بالغريزة أكثر منه بالتحليل، وأثار مشاعر وعواطف متضاربة بشكل كبير، وكما لخص ايشيا برلين JSAIAH BERLIN شخصيته ، فقد كان لديه مظاهر قصور خطيرة في شخصيته جمعت ما بين عدم التمحيص UNSCRUPULOUSNESS والقسوة والسخرية، ومع هذا وكما استخلص برلين فى النهاية، فقد تغذيت على هذه الخصائص خصائص روزفلت الإيجابية، وكما كان ما جذب أقرانه إليه هى صفاته الموازنة COUN TERVALLING والتى عوضت بشكل كبير سلبياته، فقد كان يمتلك آفاقا سياسية واسعة ، وسعة فى الخيال وفهما للعصر الذى يعيش فيه واتجاه القوى العظمى الجديدة وعملها فى القرن العشرين. وكان هذا هو الرئيس الأمريكى الذى دفع بأمريكا إلى دور قيادى عالمى ولبيئة أصبحت فيها أسئلة الحرب والسلام والتقدم والركود حول العالم تعتمد على رؤيته والتزامه.

وكان روزفلت يسبق شعبه بكثير من إدراك أن انتصارا لهتلر سوف يشل الأمن الأمريكى، ولكنه كان مع شعبه فى رفضه العالم التقليدى للدبلوماسية الأوروبية، فحين أصر أن نصرا نازيا سوف يهدد أمريكا لم يكن يعنى أن يجند أمريكا لصالح استعادة توازن القوى الأوروبى أما هدف الحرب عنده فكان إزالة هتلر كعقبة أمام نظام دولى يقوم على التعاون والتناسق لا على التوازن، وكان السلام عنده من الممكن المحافظة عليه من خلال نظام الأمن الجماعى وأنه يمكن تدعيمه بالثقة المتبادلة واليقظة.

وبعد انكسار الجهد الحربى الألمانى بعد معركة لينينجراد الضارية، أصبح فى إمكان روزفلت، ومعه حليفا الحرب، تشرشل وستالين، أن يشرعوا فى التفكير، فى صياغة النظام الدولى الجديد، وأن يحاول كلا منهما صياغته على مثاله وكما يريده فى ضوء الخبرة التاريخية لأمته. فبينما تصور روزفلت نظام ما بعد الحرب أن يشكل المنتصرون الثلاث، مع الصين، مجلس مديرين للعالم ضد أى شرير جديد محتمل ، وهى النظرة التى أصبحت تعرف برجال

البوليس الأربعة، فإن تشرشل أراد أن يعيد بناء نظام توازن القوة التقليدى فى أوروبا وهو ما كان يعنى إعادة بناء بريطانيا وفرنسا وحتى المانيا المنهزمة حتى يمكنهم، مع الولايات المتحدة، أن يوازنوا ضخامة القوة الروسية فى الشرق، أما ستالين ، فإن اسلوبه قد عكس كلا من الأيديولوجية الشيوعية والسياسية الخارجية الروسية التقليدية، وقد كافح لكى يحقق ربحا عاجلا للنصر الذى حققه بمد النفوذ الروسى إلى شرق أوربا، وأن يحول البلدين التى حررها الجيش الأحمر. إلى مناطق عازلة ضد أى عدوان ألمانى فى المستقبل.

مفاهيم الوحدة الأوروبية، الحرب الباردة وشخصياتها:
ماكميلان، ديجول، ايزنهاور، كينيدي

ويتحول كيسنجر إلى مرحلة متقدمة فى تاريخ الدبلوماسية المعاصرة وهى مرحلة الحرب الباردة، ويركز فيها على مفاهيم الوحدة الأوروبية والشخصيات الأوروبية والأمريكية فيها، فيعتبر أنه فى أعقاب أزمة برلين عام ١٩٥٨ ، كان على ماكميلان، وديجول، وأيزنهاور، وكينيدى، أن يصالحوا وجهات نظرهم المتصادمة حول طبيعة تحالفهم، وحول دور الأسلحة النووية ومستقبل أوروبا.

وكان ماكميلان هو أول رئيس وزراء بريطانى يواجه بشكل واضح الواقع المؤلم إن بلاده لم تعد بعد قوة عالمية. وقد تعامل تشرشل مع أمريكا والاتحاد السوفيتى على قدم المساواة، وكان تشرشل رغم أنه كان المتحدث باسم قوة كبرى وإن لم تكن بعد فى الصف الأول، إلا أنه رغم هذا كان قادرا على التأثير فى حسابات الآخرين. وخلال أزمة السويس كان إيدن ما زال يمارس دور رئيس حكومة مازال لديها ذاتية كبيرة كقوة عظمى وقدره على العمل المنفرد. غير انه حين واجه ماكميلان أزمة برلين، فإن وهم أن بريطانيا العظمى بذاتها لديها القدرة على تغيير الحسابات الاستراتيجية للقوى العظمى الأخرى، لم يعد من الممكن الدفا ع عنه أو استمراره.

وقد كان ماكميلان المصقول ذو الشك الراقى ELEGANT SKEPITIC آخر المحافظين القدامى، وكان نتاج العصر الإدواردى حين كانت بريطانيا العظمى القوة العالمية البارزة والعلم البريطانى يحلق فوق كل ركن من العالم تقريبا، ورغم أنه كان يمتلك إحساسا بالدعابة، فقد كان لديه إيضا سوداوية نبعت من كونه مجبرا على أن يشارك فى اضمحلال انجلترا.

وكانت أهم اهتمامات ماكميلان رغم كارثة السويس ظلت هى رعايةالعلاقة الخاصة مع الولايات المتحدة. ذلك أنه منذ بداية الحرب الثانية كانت القوتان تربطهما الضرورات المتبادلة حتى ولو كانت هذه الضرورات تستقطر من خلال خبرات تاريخيةمختلفة تماما. وكانت

العوامل الهامة لصياغة رابطة قوية من الأمن قدره بريطانيا العظمى الاستثنائية على التكيف مع الظروف المتغيرة، وقد تمكن القادة البريطانيين، من كلا الحزبين، من جعل أنفسهم كشيء لا يمكن للرؤساء الأمريكيين الاستغناء عنه، وأصبح مستشاريهم ينظرون إلى مشاوراتهم مع لندن كفضل يضفونه على حليف ضعيف، ولكن التشاور معهم كان أمرا حيويا لتكوين حكم سليم على الأمور. والواقع أن البريطانيين لم يشاركوا الأمريكيين أبدا وجهة نظرهم حول كمال الإنسان ولم يعتقدوا فى المواقف الأخلاقية المطلقة، وفى ضوء قلقهم كان القادة البريطانيين من أتباع هوبز فى توقعهم أسوأ شيء من الإنسان فإنهم نادوا ما شعروا بالإحباط:

EXPECTING THE WORSE FROM THE MAN, THEY RARELY FIND THEMSE VES DISSAPPOINTED

وفى السياسة الخارجية كانت بريطانيا دائما تعمل وفقا لمبدأ الذاتية الأخلاقية، فما هو خير لبريطانيا العظمى كان يعتبر خيرا لبقية العالم. ولتنفيذ هذا المفهوم، كان يتطلب قدرا كبيرا من الثقة بالنفس إن لم يكن إحساسا بالتفوق، وحين ذكر دبلوماسى فرنسى فى القرن ١٩ لرئيس الوزراء بالمرستون أن فرنسا أصبحت معتادة أن يسحب بالمرستون دائما كارتا رابحا فى اللحظة الأخيرة من كم قميصه إجابة السياسى البريطانى الجرىء، إن الله هو الذى وضع الكروت هناك . وفى ظل ماكميلان، أكملت بريطانيا العظمى التحول من القوة إلى النفوذ ولم ينازع أبدا حول نقطة فلسفية أو نظرية،ونادرا ما تحدى بشكل علنى سياسة أمريكية أساسية، وقد تنازل بإرادته عن مركز الأحداث لواشنطون فى الوقت الذى حاول فيه أن يشكل الدراما من خلف الستار وفى الوقت الذى تصرف فيه ديجول بشكل جامح لكى يجعل تجاهله صعبا، دفع فيه ماكميلان الولايات المتحدة أن تنشد وجهات نظر بريطانيا وبشكل يجعل تجاهلها أمرا مزعجا.

ومنذ نهاية الحرب الثانية والولايات المتحدة تشرف على شئون العالم بشكل لم يتح لأمة من قبل، ورغم أنها لا تمثل إلا جزء صغيرا من سكان العالم إلا أنها كانت تنتج ٣/١ سلعه وخدماته، وتدعمه بفارق ضخم من التكنولوجية النووية، ولذلك فقد انتشرت واستمتعت بفارق ضخم من التفوق على أى منافسة أو مجموعة من المنافسين يمكن تصورهم. ولعدة عصورٍ فإن أوضاع الوفرة التى تصل إلى حد التخمة جعلت أمريكا وقادتها يتجاهلون اتجاهات ووجهات نظر أوروبا المدمرة والعاجزة مؤقتا مقارنة بسلوك أوروبا حين كانت تسيطر على شئون العالم لمدة قرنين. وقد فشلوا فى أن يتذكروا دينامية أوروبا التى أطلقت الثورة الفرنسية والفلسفة السياسية التى أنتجت مفهوم السيادة القومية، والنموذج الاوروبى للدبلوماسية

والذى أدار نظاما معقدا من توازن القوى لمدة ثلاثة قرون. ولكن مع استعادة أوروبا لقوتها ، وبمساعدة أمريكية لم يكن من الممكن الاستغناء عنها، كانت بعض أنماط دبلوماسيتها التقليدية كفيلة بأن تتكرر وخاصة فى فرنسا وحيث نشأ فن أدارة شئون الدولة فى ظل ريشيليو.

ولم يشعر بالحاجة لأن تستعيد أوروبا نفسها وتمارس دبلوماسيتها أكثر من شارل ديجول. وفى الستينيات وخلال قمة جدله وخلافاته مع الولايات المتحدة، أصبح من قبيل الموضة اتهام الرئيس الفرنسي، أنه يعانى من أوهام العظمة، بينما كانت مشكلته هى العكس تماما: كيف يمكن إعادة الهوية لبلد يغمره الإحساس بالفشل والخطر. وقلة من الدول هى التى اختبرت المحن التي مرت بفرنسا بعد أن فقدت معظم شبابها فى الحرب الأولى والذين عاشوا بعد هذه الكارثة تحققوا أن فرنسا لن تستطيع أن تتغلب على محنة أخرى كهذه ، وفى ضوء هذا، أصبحت الحرب الثانية كابوسا تحقق جاعلة من انهيار فرنسا عام ١٩٤٠ كارثة سيكولوجية وعسكرية. وفى هذا الوقت الذى خرجت فيه من الحرب كأحد المنتصرين فإن القادة الفرنسيين كان يعرفون جيدا أن بلادهم قد أنقذت بشكل كبير من خلال جهود الآخرين.

ولأن واشنطون قد أخذت توافق المصالح بين أعضاء التحالف الغربى كشىء مسلم به، قد اعتبرت أن مجرد التشاور سوف يعالج كل اختلاف. ومن وجهة النظر الأمريكية، كان التحالف الغربى يشبه شركة عامة، يعكس النفوذ فيها نصيب كل فرد النسبى فى الملكية ويجب أن يحسب بنسبة مساهمة كل أمة المادى فى الجهد المشترك. ولم يكن هناك فى تاريخ ممارسة فرنسا الطويل للدبلوماسية ما يتفق مع هذا المفهوم أو يؤدى إلى هذه النتيجة. منذ ريشيليو، فقد صدرت مبادرات فرنسا بشكل دائم من حساب المخاطر والمكاسب، وكنتاج لهذا التقليد كان دى جول أقل اهتماما بطبيعة الجهاز الاستشارى منه بالخيارات المتراكمة لاحتمالات حدوث اختلافات، وقد اعتقد ديجول أن هذه الخيارات سوف تحدد مواقف المراكز النسبية ، وبالنسبة له، فإن العلاقات السلمية بين الأمم، تعتمد على حسابات المصلحة، وليس على الإجراءات الرسمية فى تسوية المنازعات،ولم يكن ينظر إلى التناسق كحاله طبيعية ولكن كشىء يجب أن ينتزع من تضارب وصراع المصالح فالإنسان المحدود بطبيعته LIMITED IN HIS NATURE إنما هو لا نهائي فى رغباته INFINITE IN HIS NEEDS وهكذا رأى ديجول العالم مليئا بالقوى المتصارعة المتعارضة، وبالطبع كثيرا ما نجحت الحكمة البشرية فى منع تحول هذه النزاعات إلى صراعات مميتة، غير أن التنافس هو شرط الحياة، وفى التحليل الأخير دائما، فإنه فى التوازن فقط سوف يجد العالم السلام.

وقد شكل تكرس ديجول المخلص للمصلحة الفرنسية الوطنية تباعده وأسلوبه غير المساوم في الدبلوماسية. وفي الوقت الذى كانت القيادة الأمريكية تركز فيه على مبدأ المشاركة PARTNERSHIP كان ديجول يؤكد مسئولية الدول فى أن تراعى أمنها الخاص. وحيث أرادت أمريكا أن تخصص جانبا من الهدف العام لكل عضو فى التحالف، أعتقد ديجول أن تقسيم العمل هذا سوف يحط من قدر فرنسا ويدمر إحساسها بشخصيتها، وكان يقول: أنه مما لا يمكن التسامح فيه بالنسبة لدولة عظمى إن تترك مصيرها لقرارات وتصرفات دولة أخرى أيا كانت صداقتها، إن الدولة التى تدخل ضمن هذا التكامل تفقد اهتمامها بدفاعها الوطنى مادامت ليست مسئولة عنه.

ولم يكن ديجول معاديا لأمريكا من حيث المبدأ، فقد كان مستعدا للتعاون حيثما، ومن وجهة نظره، تتلاقى المصالح الأمريكية والفرنسية بشكل حقيقي، ولهذا اندهش المسئولون الأمريكيون من التأييد غير المشروط الذى أظهره ديجول خلال أزمة الصواريخ الكوبية.

إن ما كان فى فكر ديجول عن أوروبا فهى أوروبا التى تقوم على نفس الخطوط التى أقام بها بسمارك ألمانيا الموحدة، بما يعنى الموحدة على أساس دول تلعب فيها فرنسا دورا مسيطرا وتقوم بنفس الدور الذى كان لبروسيا فى ألمانيا الموحدة.

أما التغير الضخم الذى حدث فى العالم وتحول علاقات القوى فيه إنما يرجع وتم تحت وصاية رجلين كان تعاونهما بعيد الاحتمال، وهما الرئيس الأمريكى رونالد ريجان ـ ١٩٨٠ ـ ١٩٨٨ ـ والزعيم السوفيتي ميخائيل جورباتشوف ـ ١٩٨٥ ـ ١٩٩١ ـ وقد انتخب ريجان رئيسا لأمريكا كرد فعل لفترة بدت فيها أمريكاتتراجع، وجاء بهدف تأكيد الاستثناء والتفرد الأمريكي، أما جورباتشوف، الذى صعد إلى القمة من خلال الصراع الضارى حول سلم السلطة الشيوعية ، فقد كان مصمما كذلك على استعادة القوة والحيوية للواقع والنظام السوفيتي. وكان كلا منهما مؤمنا بالنصر النهائي لجانبه. غير أنه كان هناك فرقا أساسيا بينهما. فقد فهم ريجان الينابيع الرئيسية لمجتمعه، بينما خلال عملية التحول التى بدأها جورباتشوف، فقد فقد الاتصال كلية مع مجتمعه. وبينما اعتمد واستقطر ريجان رصيد المبادرة والثقة بالنفس، عجل جورباتشوف بموت النظام الذى كان يمثله بسعيه لإصلاحه وهى العملية التى ثبت أنه لم يكن قادرا عليها.

ورغم أن معرفة التاريخ هى مفتاح لفهم السياسة الدولية، إلا أن رونالد ريجان ، كما كان الشأن مع ترومان، جاء استثناء من هذه القاعدة، ذلك أن ريجان كان يمتلك ويعكس معرفة ضئيلة بالتاريخ ، فقد قارن مرة بين بسمارك وجورباتشوف، وعندالتحدث إليه لم يكن المرء

يملك إلا أن يتساءل كيف يمكن لهذا الرجل أن يكون رئيسا ليس فقط للولايات المتحدة بل حاكما لولاية. ولهذا فإن ما على المؤرخين أن يوضحوه كيف أن مثل هذا الرجل غير المثقف حكم كاليفورنيا لمدة ثمانية أعوام و أمريكا لفترة مماثلة إلا أنه وبعد كل شئ فإن رئيسا بمثل هذه الضحالة الثقافية قد طور سياسة خاصة على القدر من التماسك والملاءمة

كما كان يملك إحساسا حادا بما يريد تحقيقه، وثقة راسخة فى معتقداته شكلت جوهر السياسة الخارجية لعهده، وأثبتت أن الإحساس بالاتجاه، وقوه الاقتناع بمعتقداته هى التى تشكل المكونات الرئيسية للقيادة:

SENSE OF DIREC (TION, AND THE NOWING OF THE STRENGTH OF ONE'S CONVE NTIONS ARE THE INEGEDIENTS OF LEADERSHIP

وقد كان لديه فهم وادراك اكثر قوة وتأكدا لما يعتمل فى الروح الأمريكية:

HE HAD A MUCH GRASP OF THE WORKINGS OF THE AMERI CAN SOUL

وقد طابق ريجان بين ادارته وبين رفضها لما بدأ يسود المجتمع الأمريكى من عقدة الذنب خاصة بعد حرب فيتنام، ودافع بفخر عن سجل أمريكا باعتبارها أكبر قوة سلام فى العالم اليوم.

ورغم أن انتهاء الحرب الباردة كان فى جوهره انتصار للولايات المتحدة، وإن هذا تم خلال عهد ريجان وإدارته، إلا أن هذا النصر لم يكن بالطبع إنجازا لادارة أمريكية واحدة بقدر ما كان تجمع واحتشاد لجهد أمريكى قوى دام لأربعين عاماً وعبر إدارات ورؤساء أمريكيين من ناحية، ونتيجة لتحجر الفكر والتطبيق الشيوعى من ناحية أخرى. وقد نبعت ظاهرة ريجان ومساهمته من تلاقى سعيد الحظ بين الشخصية والفرصة التى أتيحت لها، وحيث مزج ريجان بين التشدد الأيديولوجى بتجميع الرأى العام الأمريكى وبين المرونة الدبلوماسية والتى لم يكن المحافظون يغفرونها لرئيس آخر، وقد كانت هذه الصيغة هى المطلوبة بالضبط فى فترة كانت أمريكا قد بدأ يتملكها الشك فى نفسها.

أما جوربا تشوف، فإنه للمرة الأولى الذى يتحقق فيه للغرب ما كانوا يتوقعونه بعد مجيئ كل زعيم سوفيتى جديد من بزوغ عصر جديد فى السياسة السوفيتية، فقد كان جوربا تشوف من جيل مختلف عن جيل القادة السوفيت الذين سبقوه والذى حطمت الستالينة روحه. كما كان يفتقد اليد القوية لشخصيات الجهاز الحزبى، وكان على قدر كبير من الذكاء والدماثة وكان يشبه الشخصيات التجريدية للروايات الروسية فى القرن ١٩ التى يجتمع فيها

المحلية والعالمية، والذكاء وعدم التركيز فى بعض الأحيان، كما كان ذا نظرة وإدراك حاد وتبصر ولكن معضلته الرئيسية ظهرت حين بدأت سياسته تعكس التشويش أكثر من الهدف، وفى الوقت الذى كان الغرب فيه يشرع فى ثورته التكنولوجية الثالثة. كان الزعيم السوفيتى الجديد يراقب بلده وهى تنزلق نحو الضعف تكنولوجيا.

النظام العالمي الجديد

ويختتم كيسنجر عمله الضخم فى استعراض تاريخ الدبلوماسية وعصورها منذ القرن السابع عشر، وشخصيتها، بتصوره لمعالم النظام الدولى الجديد ومكانه ودور الولايات المتحدة فيه.

فيقول، لقد تحدث الرئيس الأمريكى جورج بوش، والذى تسلم الحكم مع انتهاء الحرب الباردة والنظام الدولى الذى عاصرها، عن النظام العالمى الجديد وكأنه على الأبواب، رغم أنه مازال فى مرحلة الماضى، ولن يتشكل بصورة واضحة ومرئية قبل القرن القادم. وسوف يكون فى جانب منه امتدادا للماضى، وفى جانب له ليس له سابقة، والنظام العالمى الجديد، شأن النظم التى سبقته، سيبزغ كإجابة على أسئلة ثلاثة: ما هى الوحدات الرئيسية للنظام العالمى الجديد، وما هى وسائل تفاعلها، وما هى الأهداف التى سيجرى التفاعل بشأنها ونيابة عنها.

وقد خلقت نهاية الحرب الباردة ما أسماه بعض المراقبين العالم ذا القطب الواحد UNI-POLAR أو العالم ذا القوة الأعظم الواحدة ONE SUPER POWER إن الولايات المتحدة هى بالفعل ليست فى وضع أفضل يمكنها من أن تمول جدول الأعمال العالمى بشكل منفرد وأكثر مما كانت فى بداية الحرب الباردة، ورغم هذا، وبشكل يدعو للسخرية، فإن القوة ومصادرها قد انتشرت بشكل أكثر، وهكذا فإن قدرة أمريكا قد تراجعت ومن المحتمل أن يكون للولايات المتحدة حتى القرن القادم أقوى اقتصاد عالمى، ومع هذا، فإن الثروة سوف تنتشر بشكل أوسع، وكذلك التكنولوجيا وتولد الثروة، وبحيث ستواجه الولايات المتحدة منافسة اقتصادية من نوع لم تختبره خلال الحرب الباردة ومن ثم فإنه فى القرن الواحد والعشرين فإن أمريكا، مثل أمم أخرى، عليها أن تعلم أن تميز بين الضرورة والاختيار، بين الثوابت غير المتغيره للعلاقات الدولية والعناصر التى تخضع لحرية تصرف واختيار رجل الدولة ورشده.